

# الفن في خدمة السياسة منذ هتلر إلى اليوم

## دول كثيرة اعتمدت على السينما أداة للترويج السياسي

الفن الميسر مصطلح خطر، يحاول معظم المبدعين الابتعاد عنه، لأنهم يعتبرونه فخا فكريا سيؤدي إلى تأطيرهم بمسارات فكرية محددة، تجرد رؤاهم الفنية. بينما يعتبره آخرون نوعا من الالتزام الأخلاقي والفكري الذي يتحصنون به وللسياسة في الفن أشكال وطرق. بعضها يكون مباشرا وبعضها الآخر يكون بالتلميح والإشارة وكثيرا ما فقد مبدعون مكائهم بين الناس بسبب سقطة سياسية في مؤلف أو فيلم أو أغنية. وهذا ما يبرز علاقة الفن الوثيقة بالسياسة.

السينمائية شعاعات فنية كبيرة يحمل لواءها سينمائيون وجهات إنتاجية وأحيانا دول.

ومن ثم بات النزاع الفني بين هذه التيارات ظاهرة فنية وسياسية واضحة، ولم يقف الموضوع في هذا التقسيم عند حد الإنتاجات السينمائية، بل تجاوزه ليكون في تنظيم المهرجانات السينمائية التي تمايزت بدورها إلى ذات التسميات الشكلية السابقة.

منذ أن وجد فن السينما في العالم، تنبّه منتجوها إلى أهميته في تكوين صورة محددة تخدم الذهنيات الفكرية التي يتبنونها. فكانت السينما أداة قوية في بناء رؤية سياسية محددة. اعتمدت عليها كل الدول في الترويج لأفكارها. ومنذ أن تنبّه السياسيون لأهمية السينما عملوا على إنجاز أفلام دعائية تحقق لهم ما يريدون. والتاريخ سجل أن أول من حقق سينما دعائية في تاريخ السينما كان المخرج الألماني ليني ريفنستال.

كانت ريفنستال صديقة شخصية للزعيم النازي أدولف هتلر. ولم تكن من الحزب النازي وكانت تملك قدرا كبيرا من البراغماتية التي دفعتها من خلال قربها من هتلر إلى أن تكون أول من أسس ما اصطلح على تسميته بسينما الدعاية، الذي ولد في ثلاثينات القرن العشرين ونضج تماما أثناء الحرب العالمية الثانية. فكانت تقوم من خلال الأفلام التي تنجزها بتمجيد الأتسكار النازية وتوثيق مسيرتها السياسية وبالطبع التركيز على شخصية الزعيم هتلر باعتباره رمز الأمة الألمانية حينها.

قدمت المخرجة الألمانية فيلمها الوثائقي الشهير انتصار الإرادة، الذي كلف به من قبل الحزب النازي، والذي يعتبر فيلمًا دعائيا تعويبا هاما في تاريخ السينما الألمانية، حيث صورت فيه شخصيات رسمية وعسكرية وهم يستمعون لخطابات هتلر وكذلك صورت جموعا حاشدة لجمهير الحزب وهي تحمل لوحات كبيرة كتبت عليها عبارات التحية للحزب وزعيمه. عن هذا الفيلم كتب جيروم بيمبانت، مؤلف كتاب "ليني ريفنستال: صانعة أفلام هتلر" في الوقت الذي بدأ فيه عرض فيلم "انتصار الإرادة"، تم تقديمه بطريقة مباشرة كفيلم كبير للدعاية.

على الطرف الآخر، كانت السينما الدعائية موجودة لدى الاتحاد السوفييتي الذي قدم من خلال العشرات من الأفلام مقولاته الفكرية المناهضة للنظام

كما العادة، لم يفوت الأميركيون وهم سادة صناعة السينما في العالم فرصة أنها تحمل إمكانية تقديم دعاية سياسية. فاستغلوا السينما في ذلك أكبر وأسوا استغلالا. فكانت السينما بالنسبة إلى السياسة الأمريكية صنوا هاما لإدارة الدولة، وما تريد قوله في السياسة تقولها أولا في السينما. فهي تصور من خلال السينما بطولات الجندي الأميركي الخارق وانتصارات جيوشها وبالطبع تأتي على ذكر أعضائها الفكريين والعسكريين بكل نوازع الشر والجهل، بحيث يظهر أعداؤها في صورة الهمج المتخلفين والمجرمين.

في مرحلة السبعينات وما تلاها، كان الوضع في أفغانستان مضطربا، وكان التدخل السوفييتي في أوجه، وهو ما كانت تعارضه أميركا بشدة، بل تحالفت مع العديد من الدول لتقديم السلاح لبعض رعاياها وتصنع المجاهدين الذين كانوا يقاتلون السوفييت في أفغانستان. وكانت السينما الأمريكية تظهر وحشية الجندي السوفييتي وروح الجهاد المتوقدة عند المسلم المقاتل. وهو الأمر الذي عكس تماما بعد خروج الجيش السوفييتي وزوال الدولة كلها، ليصبح هؤلاء المجاهدون من وجهة نظر السينما الأمريكية لعنة على العالم حيث يقومون بالعمليات الإجرامية والإرهابية في كل العالم خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

يعتبر فيلم "Z" الشهير لمخرجه اليوناني كوستا غافراس علامة هامة في تاريخ السينما السياسية العالمية، فهو يتحدث عن الصراع السياسي الذي كان

نضال قوشحة  
كاتب سوري

"قول الحقيقة سيكون بمثابة تفكيك للنظام الاجتماعي". هكذا عبّر الناقد والمفكر السلوفيني سلافوي جيجس عن رأيه في موضوعه الحقيقية وكيفية التعاطي معها وقولها، خاصة في الأشكال الأدبية والإبداعية. فقديمًا قالوا أذهب الشعر أكتبه، وعلى اللسان الدارج يقال "الصراحة جارحة".

إبداعيا يقدم الناس ما يريدون ضمن قوالب فنية مختلفة من شعر وأدب وتشكيل وسينما وغيرها من الفنون، وهو معنيون بتقديم فكر ما يقدم للجمهور، فموضوع التسلية وحدها لن تكون قادرة على شد اهتمام شرائح كبيرة من المتابعين، فلا بد من مقولة ما يقدمها المنتج الإبداعي، وهنا تكمن جذور المشكلة. فهذه المقولة قد تكون أحداثا تاريخية أو طبائع بشرية أو سيرا شخصية لناس من المشاهير أو السياسيين.

منذ أن وجد فن السينما تنبّه منتجوها إلى أهميته في تكوين صورة محددة تخدم الذهنيات الفكرية التي يتبنونها

ثم إن قول حقائق عن تواريخ أو أشخاص قد يثير الكثير من المخاوف والنزاعات. فليجأ البعض إلى تقديم هذه الحقائق كما هي مهما كانت النتائج، وفريق آخر يرى أن الفن غير معني بما جرى حقيقة بل يقدم رؤية عنه. بينما الفريق الثالث وهو الأخطر فهو الذي يقوم بتزييف هذه الحقائق أو توليفها بشكل محدد بحيث تخدم أفكاره وتحقق طموحاته في مقاومة أفكار مخالفة أو الترويج لأفكار أخرى.

السينما في الواجهة

على وقع الخلاف في ما يجب على فن السينما أن يقدمه ظهرت تيارات متباينة منها السينما السياسية والأيدولوجية والموجهة والدعائية وغيرها. وتناطرت كل منها بنظريات وقوالب تختلف بها عن الأخرى، وصارت هذه الأشكال

على وقع الخلاف في ما يجب على فن السينما أن يقدمه ظهرت تيارات متباينة منها السينما السياسية والأيدولوجية والموجهة والدعائية وغيرها. وتناطرت كل منها بنظريات وقوالب تختلف بها عن الأخرى، وصارت هذه الأشكال

فيلم «Z» قتال ضد الدعاية الأمريكية ينتصر للضعفاء

السينما الدعائية وسيلة الدول في استمالة عقول الناس



شارلي شابان سخر من النازية

والممثل الأمريكي من أصل كوري شمالي راندال بارك.

لم تقترب السينما من السياسة بشكل واضح وثابت عربيا إلا في مصر. البلد الذي ينتج أكثر من كل العالم العربي من السينما، وفي جدلية العلاقة بين السينما والسياسة في مصر جولات عديدة. لعل من أبرزها فيلم "شيء من الخوف"، الذي كتبه صبري عزت عن رواية ثروة أباطة التي تحمل نفس الاسم، وأخرجه حسين كمال وكان من بطولة شادية ومحمود مرسى ويحيى شاهين.

ظهر الفيلم بعد نكسة يوليو / حزيران عام 1967، حيث كان المثقفون في مصر في أكثر اللحظات حرجا وتوترا من الناحية السياسية والوطنية. وكانت صدمة ونزف حملة من الاعتقالات التي طالت رموزا كبيرة حينها.

وعندما ظهر الفيلم الذي يتحدث عن منطقة في صعيد مصر، وعن قرية تعيش فيها فتاة تدعى فؤادة تهوى شابا اسمه عتريس وهو الهادي اللوديع الذي سرعان ما يقبل ويصبح شخصا دمويا بعد أن يشاهد مقتل جده أمامه، ويصبح ظالما للناس، فتتفر الفتاة منه، وينقلب الحب كرها، ولكنه يتزوجها بالإكراه بشهود زور الأمر الذي يدفع شيخ الجامع بأن يصبح مجاهرا بأن زواج عتريس من فؤادة باطل. يخطط للمقابلة التي يتحقق منها الزعيم بنفسه، لكن المحاور الإعلامي يغير الأسئلة على الهواء ليسأل الزعيم: لماذا يجوع شعبك؟ حينها تبدأ المشكلة أمام أعين الناس، وتنفجر ثورة لأن جزءا من الدولة يكون ضد الزعيم وسط تحركات الناس وبقاء الزعيم الذي يواجه مصيرا مؤلما بعد ذلك. يقول الصحافي في النهاية "لقد أشعلنا ثورة".

حقق الفيلم حين عرضه في دول العالم وبسبب دعائته السياسية حضورا جيدا. وهو من إخراج سيث روغن وإيفان غولدربرغ وتمثيل كل من روغن وجيمس فرانكو

في العام 2014 أنتجت السينما الأمريكية الفيلم الشهير الذي حمل عنوان "المقابلة" The Interview، الذي سبب مواجهة عنيفة بين صناع الفيلم ودولة كوريا الشمالية، للحد الذي وصل إلى قرصنة الفيلم من قبل جهات كورية غالبا ضد شركة سوني بيكتشرز قبل عرضه. ومن ثم جاء تصريح وزير خارجية دولة كوريا الشمالية الذي قال "إذا رعت الولايات المتحدة

موجودا في حقبة السبعينات داخل أروقة السياسة اليونانية، وكيف كان لأحد النواب تأثير كبير على الناس، وهو يقاوم السلطة الحاكمة المتواطئة مع الأميركيين في الفساد والهزيمة على مقدرات البلاد والقرار السياسي فيها.

ويتابع الفيلم مجريات الأمور، حتى يصل إلى نقطة الصدام بينهما حيث تقرر السلطة مع بعض المثقفين التخلص من النائب الثائر، ويكون ذلك من خلال قتله في تجمع لاتباعه حيث يقتلون أحداثا شغب في المكان، لكن الأمور تتصاعد عندما لا يقبل المحقق الزبده ولا الصحافي الوطني الاستكاثرة للمقولة الرسمية بأن الحادث عرضي ويصرون على أنه اغتيال سياسي. الأمر الذي يؤدي بهما إلى مهالك.

الفيلم كان صرخة مدوية في حينه ضد الدعاية السياسية الأمريكية التي تتدخل في شؤون العالم فتتحرك حكاهما على هواها. وهو مأخوذ عن رواية تحمل ذات الاسم للروائي اليوناني فاسيلي فسكيلوس وقد أخرجها اليوناني الشهير كوستا غافراس وشارك ببطولته النجم الفرنسي إيف مونتان وجان لوي تريتيان والنجمة اليونانية إيرين باباس وقد حقق عالميا حضورا مدويا خاصة لدى مفكري اليسار العالمي، كما حقق جوائز عالمية هامة منها جائزة الأوسكار لأفضل فيلم أجنبي وكذلك أفضل مونتاج وتحصل في مهرجان كان السينمائي الدولي على جائزة لجنة التحكيم الخاصة وفي مدينة نيويورك حقق جائزة نقاد المدينة، بالتوازي مع العشرات من الجوائز لأبطاله.

ويواجه الفيلم الدعاية الأمريكية المهيمنة على الذهنية السياسية التي كانت موجودة في بلاده في حينها، حيث قال مخرجه ذات مرة إنه لم يكن يريد من الفيلم "تصوير مناظر جميلة وحسب، بل كان يهدف إلى إثارة الجدل". الدعاية التي هدف الفيلم لتحقيقها أن تقوى الهيمنة ستتصغر فالحكومة سقطت وشهود القضية انتحروا أما المحقق الشاب فقد استبعد لقضية أخرى وكذلك الصحافي المغامر الذي سجن لحيازته أوراقا فيها حرف Z.

في العام 2014 أنتجت السينما الأمريكية الفيلم الشهير الذي حمل عنوان "المقابلة" The Interview، الذي سبب مواجهة عنيفة بين صناع الفيلم ودولة كوريا الشمالية، للحد الذي وصل إلى قرصنة الفيلم من قبل جهات كورية غالبا ضد شركة سوني بيكتشرز قبل عرضه. ومن ثم جاء تصريح وزير خارجية دولة كوريا الشمالية الذي قال "إذا رعت الولايات المتحدة

في العام 2014 أنتجت السينما الأمريكية الفيلم الشهير الذي حمل عنوان "المقابلة" The Interview، الذي سبب مواجهة عنيفة بين صناع الفيلم ودولة كوريا الشمالية، للحد الذي وصل إلى قرصنة الفيلم من قبل جهات كورية غالبا ضد شركة سوني بيكتشرز قبل عرضه. ومن ثم جاء تصريح وزير خارجية دولة كوريا الشمالية الذي قال "إذا رعت الولايات المتحدة

